

نافذة على مدينة واسط في العصر الأموي والعباسي (دراسة في مورفولوجية المدينة)

م.م ندى جواد محمد علي

جامعة بغداد /كلية العلوم/وحدة الاستشعار عن بعد

(خلاصة البحث)

جاء هذا البحث صرورة واضحة لمدينة حضارتها عريقة امتدت عدة قرون ووضعت بصماتها الواضحة والبارزة للعيان من خلال ما تركته لنا من شواهد تدل على عظمة المدن الإسلامية ، والتي تميزت عن غيرها بطرازها وهندسة عمارتها والتي اتخذت طابعا خاصاً يظهر فيه جانب الابداع الفكري والفن العربي الإسلامي ، كما يوضح هذا البحث من فكرة وتصميم الحجاج في بناء مدينة واسط والذي يظهر نتيجة الظروف السياسية التي مرّ بها العراق عموماً والخلفاء خصوصاً، فان تزايد الثورات من مختلف المحافظات وازدياد عدد خصوم الحجاج أدى الى ان يفكر في بناء مدينة تكون محمية وقريبة من المدن الاخرى ولكنها بعيدة في الوقت نفسه عن الثورات فلخترت مدينة ذات موقع ملائم من الناحية العسكرية والسياسية والاقتصادية والصحية واطلق عليها اسم واسط لانها كانت وسطاً بين الكوفة والبصرة وبغداد ولتكون معبراً للفتوحات نحو الشرق ، ورسمت حدود واسط على الجانب الغربي لنهر دجلة فكان تخطيط المدينة وتطورها العمراني ينم عن حضارة وأصالة عريقة تطورت وازدهرت لتتحد مع الجانب الشرقي لها لتكون مدينة واحدة.

وأول ما خطت المدينة دعمت بسور وخنق ودق وجامع ودار الامارة فضلاً عن اسواق ومحلات ومدارس وربط ، مما يدل على تطور الحياة الفكرية لهذه المدينة . وفي القرن

العاشر للهجرة وعندما أخذ نهر دجله يغير مجراه مبتعداً عن المجرى الشرقي الحالي الذي يمر بمدينة العمارة يبدو أنّ نجم واسط أخذ يأفل، لتبقى مدينة للسائحين من المهتمين بالعمارة الاسلامية .

مقدمة

ترتبط مورفولوجية المدينة بجوانب مادية وأخرى حضارية والجانب الأول يمثل أ- موضع المدينة والخصائص الطبيعية والمادية.

ب- ويمثل خطة المدينة.

ج- وطرز مبانيها⁽¹⁾.

يعدّ تاريخ العراق الحضاري وتراثه جزء من التاريخ العربي الإ سلامي فالطراز وطرق العمارة العربية إنعكس على أساليب نشوء العمارة في العراق فلزدهر وتطور هذا الفن المهم والذي يمثل صفحة مشرقة من صفحات العمارة العربية . إنّ لقادة العرب المسلمين من خلفاء وملوك دور فعال ومهم في نشوء المدينة العربية وديمومتها ، فكان دورهم الكبير في صنع القرار والمشاركة في التخطيط والاشراف على التنفيذ وخصوصا تلك التي اتسمت بطابع المباني العامة المساجد الجامعة والمدارس ودور الامارة ثم يأتي دور السكان من عامل وبناء ونجار ونحات ونقاش وخطاط جعلت من تلك الاعمال الكبيرة تخلد صانعيها وتبقى أثر يضيفي للحضارة الاسلامية صفة البقاء.

إنّ البناء واختطاط المنازل انما هو من منازع الحضارة ويدعو اليها الترف والدعة وذلك متأخر على البداوة ومذاهبها⁽²⁾

جاء هذا البحث ليعطي صورة واضحة عن جزء صغير لحضارة عصرين عريقين من أهم العصور الإسلامية والتي برزت فيها العمارة الإسلامية لتؤدي دوراً مهماً ومميزاً فيما بعد فمدينة واسط التي نشأة في الع صر الأموي ، وتطورت وازدهرت في العصر

العباسي وانتهى دورها لتبقى آثارها شاهد للعيان لحضارة اسلامية مميزة بأصالته ، مما حث الباحثين على التقصي لإبراز دورها في تلك المرحلة المهمة من تاريخ العراق .

واسط مدينة

من مدن العراق ذات الأهمية في العصر الأموي والعصر العباسي مدينة واسط والتي شيدها الحجاج بن يوسف الثقفي في الربع الاخير من القرن الأ ول الهجري 81هـ-83هـ (السابع الميلادي) وهناك رأي بأنها بنيت من 83 الى 86 كما جاء في البلاذبي⁽³⁾ وهو الرأي الغالب ، وتقع مدينة واسط على جانبي نهر دجلة ، وقبل بناء الحجاج لها كانت قد سكنت من الجانب الشرقي فقط حيث سكنها الساسانيون الفرس والآراميون (الأنباط) وتدعى بكسكر⁽⁴⁾، واستحدث الحجاج مقره قبالتها على شاطئ دجلة من جهة الغرب حيث عاش العرب وحدهم ثم سمح بعد موت الحجاج لغيرهم بالسكنى فيها وا تلت العجم والعرب بمرور الزمن و اتح الشطران الشرقي والغربي⁽⁵⁾ تدريجياً فكان منها مدينة واحدة يسكن فيها أناس ذو مصالح اقتصادية وسياسية مشتركة فهي تشمل في مساحتها القديمة قسماً من لواء الكوت من جنوبه وغربه وجميع لواء المنتفك والعمارة ولكنها صغرت واتسعت تبعاً للظروف والاحوال السياسية⁽⁶⁾

وتعدُّ في حينها من المدن ذات الأهمية العسكرية وجاءت تلك الأهمية لكونها قاعدة الجيوش العربية والتي امتدت إحدى عشر قرناً ، فمدينة واسط لا تقل أهميتها عن الكوفة والبصرة في إرساء قواعد الحكم العربي ولها الفخر في تعريب الدواوين وتعريب النقود وسكها على الطراز العربي .

وإما اسم مدينة واسط فقد جاء من عدة أسباب يرجعها بعض المؤرخين الى واسط القصب وهو اسم الموضوع الذي اختاره الحجاج ليبنى عليه مدينه وهذا ما يذكره ابن الأثير في كتابه الكامل في التاريخ ، كما ذكر أن ارضها كانت أرض قصب لذلك

- سميت واسط القصب ولكن الشائع والأقرب الى الصحة أنّ موقعها توسط المدن بغداد والبصرة والكوفة والاهواز (للطريق النهري) وشيراز للطريق البري⁽⁷⁾.
- ولعلّ من أهم العوامل التي ساعدت الحجاج على اختيار مدينة واسط هي كما يلي :
- 1. العامل العسكري:** قد قامت عدة ثورات على الحكم الأموي بصورة عامّة وعلى الحجاج بصورة خاصّة إبلق حكمه ومحاولة احتلال الثأثرين لمدينة الكوفة والبصرة مما جعل الحجاج يفكر في بناء مدينة يكون دجلة يمر من الناحية الشرقية ويكون الفرات من الناحية الغربية مما يعطي أهمية استراتيجية
- حربية ممتازة فالفكرة إذا ما قامت حرب في إحدى المدن فإنّ ه يصعب على الثأثرين العبور من دجلة او الفرات إذ ما قطعت الجسور ومن الاسباب الاخرى والتي فكر فيها الحجاج لبناء مدينته ان تكون قريبة ومتوسطه لهاتين المدينتين ليكون على قرب واطلاع دائم على سير الأمور السياسية والعسكريه والدليل على أهمية مدينة واسط العسكري قد احاطها بسور و خندق ولايمكن الدخول اليها إلاّ من خلال الأبواب لزيادة مناعتها ومقاومتها ضد أي ثورة⁽⁸⁾، وعند بناء المدينه جعلها معبراً لفتوحاته نحو الشرق فكان اعجاب الحجاج بواسط قد تأتي من خبرة عسكريه طويله جاءت نتيجة الحروب التي خاضها مع أعداء الدولة الاموية .
- 2. العامل السياسي:** كانت حياة الحجاج عرضه للخطر لكثرة اعدائه من باقي المدن وخصوصا من ثوار البصرة والكوفة ، لذلك أراد أن يكون قريباً ومتوسطاً من تلك المدن لقمع الثورات من جهة والقيام بالمهام الإدارية و أعمال السكان من جهة أخرى وفي الوقت نفسه يكون في موقع محمي ومن الجدير بالذكر إنّ الحجاج اسكن في واسط من أهل الشام ليكونوا الساعد الايمن وكان يعتمد عليهم في تثبيت حكمه والقضاء على الثورات المعارضه من العراقيين⁽⁹⁾.

3. العامل الاقتصادي: عندما فكر الحجاج ببناء مدينة واسط أرادها أن تكون في موقع خصب وأراضي غير مستغلة كثيرا لتكون مورداً أساسياً لإيرادات الدولة فضلاً عن توفير المواد الغذائية والاستهلاكية وقد منحها هذا الموقع أهمية تجارية حيث كانت ملتقى عدة طرق لوقوعها على دجلة من جهة وتوسطها الكوفة والبصرة والمدائن والاهواز من جهة أخرى وكل تلك الأُمور ساعدت مدينة واسط على ازدهارها وتفاعلها مع الطرق البرية الخارجية مما أدى الى تنشيط الحركة التجارية وتبادل السلع في أنحاء واسعة من البلاد حيث تقع على طريق البري من الكوفة عبر الفرات ثم طريق البطائح الى واسط ، ثم الى الاهواز في خوزستان والى شيراز* في فارس⁽¹⁰⁾، فضلاً عن وقوع واسط على طريق فارس - واسط - بغداد (والذي يستعمل ليومنا هذا في الرحلات الى الشرق) .

4. العامل الطبيعي : يفضل العرب في بناء مدنها منطقة صحية ونقية غير موبوءة وذات منظر مريح للنفس وكما قال المقدسي عن واسط، واسط قصبة عظيمة صحيحة الهواء عذبة الماء وقال عنها القزويني ((كثيرة الخيرات وافرة الغلات تشقها دجلة ، وانها في فضاء من الأرض ، صحيحة الهواء عذبة الماء)).⁽¹¹⁾ ويذكر أن المدينة منذ بداية تأسيسها ذات شطرين يفصلهما نهر دجلة أحدهما الشطر الشرقي القديم المسكون والشطري الغربي غير مسكون ، وقد اقام الحجاج مدينة على الجانب الغربي لنهر دجلة وبعد زيادة السكان وتطور المدينة وكبر حجمها ومساحتها التصق الجانبين الشرقي والغربي .

وأول عمل قام به الحجاج بعد شراءه الاراضي هو الأمر ببناء القصر والمسجد والسورين ، وحفر خندق في ثلاث سنين⁽¹²⁾ وأصبح الجامع والقصر والسور على الجانب الغربي من واسط

وقد قسّم الخنط للقبائل العربية حول المسجد ودار الامارة، والذي بناها لصق جدار القبلة أي خلف مصلى الجامع الاول الذي بناه الحجاج وجعلوا من حول الامارة ومسجدها فراغاً يفضي وتشرع اليه الطرق والأ سواق ، وكمدينة عربية إسلامية من أهم معالمها والتي تميزها عن باقي المدن هو :

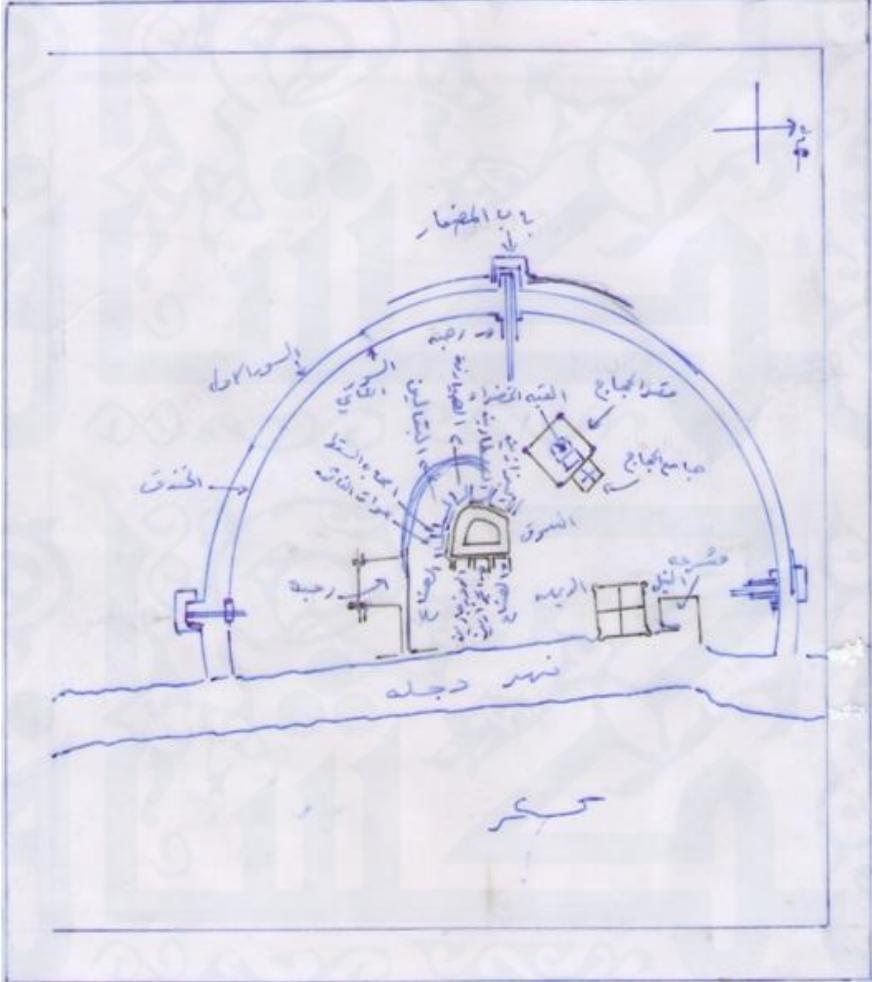
1 - القصر

لقد بنى الحجاج القصر بجوار المسجد في الجهة الجنوبية الغربية وفقاً للطرز المتبع في قصور الامارة في صدر الاسلام وفي كل ركن من أركان القصر برج مشيد على شكل ثلاث ارباع الدائرة ومبنية من الجص والآجر وتفضي الى أبواب وشوارع كثيرة . وقد ميزه هذا القصر قبة خضراء شاهقة حيث قيل أنها كانت ترى من بلدة فم الصلح لذلك سمي القصر باسم ((قصر القبة الخضراء))⁽¹³⁾ وقد بنيت لأول مرة في العراق إذ لم نجد في المصادر العربية الاسلامية مايشير الى وجود قبة مشاهمة ، بل ان دمشق استوحت في بناءها للقباب من تلك القبة فمن المؤكد ان بناء مدينة واسط جاء قبل بناء مدينة بغداد ودمشق بل ان المنصور اتخذ من طراز مدينة واسط في بناءه لمدينة بغداد ولعل القبة ذاتها كانت وسط القصر حيث يتقاطع قطراه وله اربعة مداخل (أبواب) رئيسة تؤدي الى طريق عرض كل واحد منه نحو 40 متر ، وجعل المسجد بجوار القصر وبلغت ابعاد القصر 400 x 400 متر اما مساحة المسجد فهي (200x200) متر ويكون بذلك 40 الف متر مربع⁽¹⁴⁾.

وكانت دار الامارة في واسط أو قصر القبة قد شيد ملاصق لجدار قبة الجامع الأول وان ابعاده ضعف ابعاد الجامع ، كما دلت التنقيبات الأثرية ان القصر احتوى على سور مدعم بأبراج مدورة ، السور الخارجي المنكشف وفي القسم الشرقي منه يقع مدخل القصر وهو دار الحجاج أمّا السور الداخلي فعلى الأ غلب يكون متنازراً

للجامع بما معناه انه لزيادة الحماية والأمان قد تم بناء سورين مدعمة بأبراج وكما هو معروف وجود الابراج للمراقبة ، كما يظهر في شكل رقم (1).

شكل رقم (1)

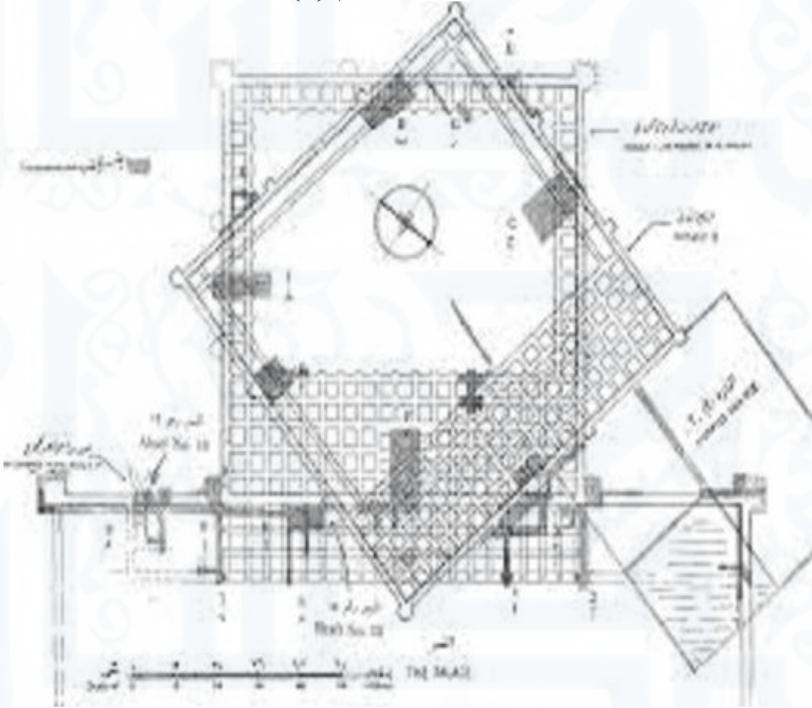


مخطط لمدينة واسط كما وضعها الأستاذ فؤاد سفر (أنظر: المعاضيدي، واسط في العصر الاموي، دار الحرية للطباعة، ١٩٧٦، ص ١٢٣).

وتظهر باحه كبيرة أمام القصر الخارجي يترك ثلاثه مستطيلات فالمستطيل الوسطي يضم الساحة الوسطية الكبرى حيث تطل عليها الأواوين مشيدة بطريقة هندسية فنية رائعة ، انظر شكل (2)

وهناك بعض الآجزاء لقواعد أعمدة مشيدة بأجر مربع ويتكون أساسه من ثلاث طبقات من الأجر والجص والتي تربط بين القواعد ⁽¹⁵⁾ قد أتخذ شكل المربع يبلغ طول كل ضلع 104.50 متراً وبثخن 2.26 متر

شكل رقم (2)



المصدر : فؤاد سفر ، واسط الموسم السادس ، مصدر سابق ، ص 137.

والتي بنيت على الطراز الحيري وتوجد في المؤخرة بمو كبير ذي ثلاثة أروقه شيدت خلفها القبة المشهورة بالقبة الخضراء ، والمستطيلان الجانبيان فأنهما يضمنان مرافق سكنية مختلفة السعة وعدد من الحجر والساحات.

أمّا داخل القصر كانت الأسس متقاطعة تقوم في نقاط تقاطعها أعمدة وبلغ عرض المدخل المنكشف 2,5م كما دلت العتبة المنكشفه على ان الشارع خارج القصر كان أعلى من تبليط بنحو (25سم) كما وجدت تحت العتبة قناة للمياه تنقسم تنقسم على فرعين .

ويحوي الجدار الشرقي على برجين يقعان عند نهايتهما ووجد مدخل واحد كان يقع في منتصف المسافة بين الزاوية الغربية للجامع والزاوية الشمالية للقصر مجموعته من الحجر ، واستناداً الى النصوص التاريخية وما أثبتته التنقي طبت الاثرية تبين أنّ دار الامارة في واسط قد اتبع الى حد كبير دار الامارة في الكوفة⁽¹⁶⁾ .

2- الخندق تذكر أغلب المصادر التاريخية والروايات على أنّ مديق واسط احيطت بخندق وبما أنّ بناء المدينة كان لأغراض عسكريه فمن الطبيعي ان يكون هناك خندق للمدينة ولم تشر المصادر عن عرضه ومصدر المياه نهر دجلة او الزاب لقربه من المدينة⁽¹⁷⁾ .

2 - الأسوار

لزيادة تحصينها حظيت مدينة واسط بسورين يفصل بينهما الفصيل والذي يعد ثكنات الجيش من الجنود والحرس وأوضحت الدراسات القليله أنّ ارتفاع الجدار يتراوح ما بين 2 الى 3 امتار وتخرق الجدار بين مسافات متفاوتة نوع من الحجاري الخاصة المشيدة بالآجر تشييداً محكماً وعلى ارتفاع بلغ المترين وتخبرنا المصادر ان الجدار ينتهي بصفه دجلة على بعد 500 متر عن المدينة ، أما الجهة الجنوبية الغربية

فأنه ينتهي عند الجدول القديم والذي يقع الى الجنوب من اطلال المدينة ويبعد كذلك بنحو 500 متر⁽¹⁸⁾.

ومن الواضح أن السور مدعم بالابراج لزيادة التحصين كما هو عليه الحال في أغلب أسوار المدن الإسلامية ولسور مدينة واسط سقا ابواب عرفت من أسمائها وهي باب المضمار والتي تؤدي بشارع الى ساحة الخيل والتي تقع بالجهة الجنوبية من المدينة وباب الزاب ومن الواضح جاء الاسم الى نهر الزاب والذي يقع بالقرب من المدينة في الجهة الشمالية منها وهو الذي حفره الحجاج لارواء المناطق المحيطة بالمدينة ، وباب القورج⁽²⁰⁾ نسبة الى حفر القورج مجرى مائي _ صغير ليجري الماء من القاطول وتلك الباب قريبة من باب المضمار وباب الخلالين لايعرف بالضبط سبب التسمية ويرجح نسبة الى احتمال وجود الخلالين ، وباب البصرة وهي الباب المؤدية الى نهر دجلة والتي يقع فيها نقل الضائع باتجاه البصرة ، وباب الفيل والتي تؤدي الى مشرعه الفيل والتي تقع بالجهة الشرقية من المدينة⁽²¹⁾ (انظر الشكل) ويذكر الطبري في كتابه ان تلك الأبواب قد نقلت فيما بعد الى مدينة بغداد .

3 - المسجد ويقع في وسط المدينة وقد سار الحجاج في تخطيط المدينة على خطى المدن الإسلامية فيكون دار الإمارة والجامع متلصقان (الضلع القبلية منه) مع بعض وفي وسط المدينة ومن حوله يجعلوا فراغاً منه تتفرع الطرقات واليه تفضي الشوارع ، ودلت التنقيبات على أنّ شكل الجامع اتخذ شكل المربع واطوال اضلاعه شبه متساوية وطول الاضلاع ما بين 103 و104 متر ما بين الطول والعرض وبسمك 26 متر⁽²²⁾ ، وكانت الباب الضلع الشمالية الشرقية هي باب المدخل الرئيس للجامع، ومن الداخل احتوى المسجد الجامع على صحن مستطيل الشكل مغطى بخمس بلاطات وكل منها يتألف من تسعة عشر رواقاً ويوجد في مؤخرة الصحن بلاطة واحدة فيها تسعة رواقاً تقابل المصلى بنيت من الآجر⁽²³⁾ كما احتوى الصحن

على مكان للؤضوء وضع في وسط الصحن كما كان مألوفاً في المساجد انذاك وقد شيد موسى بن نبأ القائد التركي مسجداً جامعاً في الشطر الشرقي من المدينة سمي باسمه ويسمى ايضاً المسجد الشرقي ، ومنذ تلك السنة كانت واسط توصف بأن لها مسجدين جامعيين في شطريها⁽²⁴⁾

4 - الأسواق والمحلات : قام الحجاج بتخطيط الأ سواق وذلك بنقل وجوه أهل الكوفة وأمرهم أن يصلوا عن يمين المقصورة (مقصورة الجامع)⁽²⁵⁾، أمّا أهل البصرة فلهزمهم بالسكنى عن يسار المقصورة ومن كان معه من أهل الش ام أمرهم ان يصلوا بجياله مما يلي المقصورة وانزل أصحاب الطعام والبزازين والصيارفة والعطارين عن يمين السوق ،درب الجزارين وانزل البقالين و أصحاب السقط وأصحاب الفاكهة في قبلة السوق⁽²⁶⁾ من هنا يلاحظ أن الحجاج أوجد تخصص الحرف في الأ سواق ومن هذا التوزيع اراد لكل مهنة مكانها لا تختلط مع المهن الأخرى ومما يؤكد كلامنا هذا وجود الصربي لكل مهنة.

أمّا المحلات والتي عرفت بواسط فهي محلة الرزازين وكان موقعها في الجهة السفلى من المدينة والمهالبة في الجهة الشرقية ومحلة الخزاعيين ،ومحلة قصر الرصاص ،ومن الدور المعروفة والمشهورة دور بني سافري وقصر القسري والرصاص والرمان. في هذه المرحلة تطورت المدينة وازداد عدد سكانها وتلك الزيادة جاءت نتيجة للتطور الاقتصادي والعسكري والإداري فقد هاجر اليها الناس من مختلف مدن العراق ليستقروا في واسط ويتخذوا منها سكناً لهم فضلاً عن الزيادة الطبيعيّة لها ونتيجة لذلك انتشعت واسط وظهرت فيها التقسيمات الإدارية وقد قسمت على خمس أقسام تسمى أعمال⁽²⁷⁾ وهي :-

منطقة الصلح وواسط والعينية والعراف والشرطة إلا انه يلاحظ أنّ تلك التقسيمات الأدارية للمناطق لم تكن ثابتة ويعود السبب الرئيس الى التغيرات التي جرت على

نظام الاراضي وجباية الضرائب فضلاً عن تعرض مواقع مراكز الاستيطان الى تبدلات كثيرة ولبستمرار نظراً لسهولة الأراضي وجريان الانهار بتلك الاراضي السهلية إدى الى تعرض الكثير من المناطق للفيضانات فتنغمر الاراضي بالمياه ومما نتج عنها تكوين الأهوار والمستنقعات والتي تؤدي بدورها الى كثرة الأملاح وبور الأراضي الزراعية⁽²⁸⁾ مما يضطر المزارعون الى هجر أراضيهم والبحث عن أراضٍ خصبة جديدة . وبالرغم من ذلك الازدهار الاقتصادي وزيادة القدرة الشرائية فضلاً عن زيادة التعداد السكاني أدى بطبيعة الحال الى ازدهار الصناعة في مدينة واسط وظهور الصناعات الحرفية ومنها صناعة نسيج الملابس والستائر بألوان متعددة زاهية فضلاً عن السجاد والأنماط* الأموي ، كما عرفت واسط بصناعة الاقمشة الثمينة والتي تطرز بخيوط الذهب والفضة والخرز⁽²⁹⁾

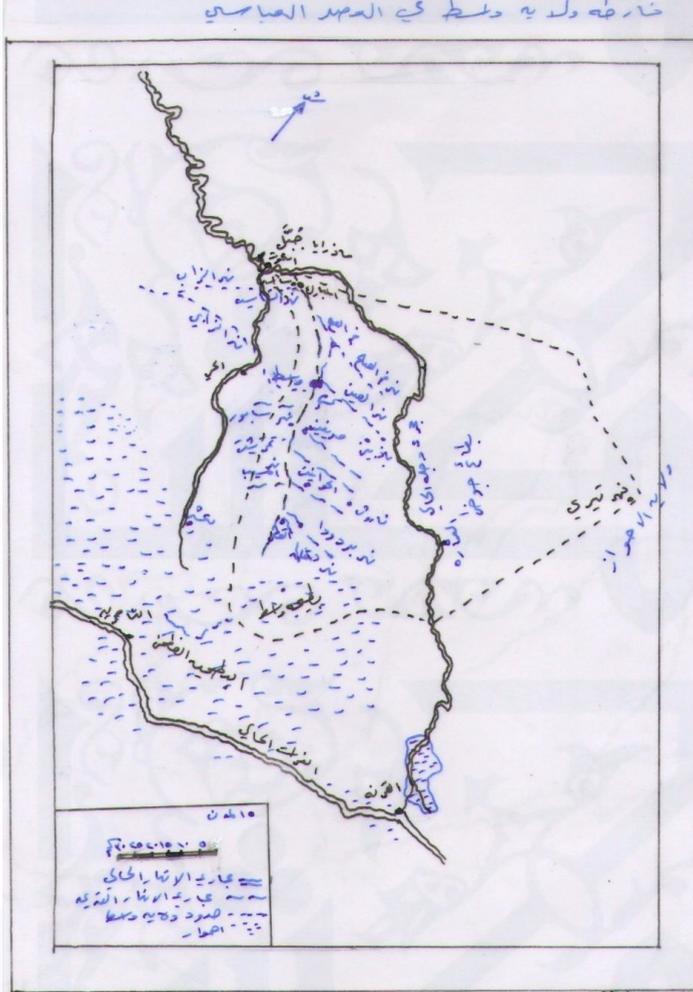
وازدهرت وتطورت صناعة الخزف والفخار وهذه الصناعة استمرت على مدى العصر الأموي والعصر العباسي بعد أن اضيفت اليها في العصر العباسي بعض تحسينات مثل إضافة مادة الرصاص والألوان اليها وتشكل جرارا وأباريق وأواني مختلفة الاحجام والأشكال وأقداح وصحون وغيرها⁽³⁰⁾ .

ومن الصناعات الأخرى والتي تميزت فيها واشتهرت مدينة واسط صناعة الخمر والنبيذ وجاءت لكثرة وجود المادة الأولية وهي التمور والكروم ، فضلاً عن الصناعات الأخرى مثل الحدادة ووجود سوق الحدادين وكانت أغلب صناعاتهم خاصة للبناء والأسلحة لحاجة السوق لتلك الصناعات ومن أشهر الصناعات والتي تميزت بها واسط كانت صناعة الصياغة و تذكر بعض المصادر وجود سوق خاص لهم وفضلاً عن صناعة السنفط وظهور السفاطين والتي تقوم على البردي وخوص النخل والحلفاء وكانت تنتج منها الأ قلام وكانت للنجارة حيزا في مدينة واسط لعمل الشبايبك والابواب والأثاث المنزلية الأخرى⁽³¹⁾ .

العصر العباسي

إنّ المدينة بحد ذاتها تعد إحدى الظواهر البشرية التي قامت بفعل تأثير وتفاعل مجموعة من العناصر، فتلك المقومات لها دور في تحديد حجم وأسلوب وتنظيم المدينة وتفرض على المخطط الحضري مراعاة تلك العناصر في نوعية وشكل العمران فضلاً عن الارتباط الوثيق بالمقومات البشرية من حجم السكان ووظائف المدينة المتعلقة بالفعاليات والأنشطة الاقتصادية فتلك الخصائص لها الدور في تطور ونمو واستمرار المدينة، وسنعرض تلك الخصائص بصورة موجزة⁽³²⁾، ومدينة واسط في العصر العباسي ازداد الاتصال ما بين جهة الشرق والغرب حتى باتت مدينة واحدة تعرف بمدينة واسط والتي لها جانب شرقي وجانب غربي فكانت حدود الولاية خط يبدأ من مدينة نهر سايس ثم يسير شمالاً إلى ما ذرايا ثم يسير شرقاً إلى الطيب ثم قرقوب ثم يتجه جنوباً إلى نهر تيري وبعدها إلى الغرب ليدور حول بطائح واسط إلى القطر ثم البطائح ثم يتجه وجهة شمالية إلى نهر سايس⁽³³⁾، انظر خارطة (1)

خارطة (1) حدود مدينة واسط في نهاية العصر الاموي وبدايه العصر العباسي



المصدر : إنظر فؤاد سفر ، مصدر سابق ، ص 5.

المعاضيدي ، واسط في العصر العباسي، إطروحة دكتورا، جامعه بغداد- كلية

الاداب / تاريخ، سنة 1983، ملحق (1) .

ان للتطور الاقتصادي والاجتماعي والعمراني أبقى مدينة واسط مزدهرة في العصر العباسي ومحتفظة بمكانتها بين المدن العراقي فبالرغم من الأحداث السياسية التي عصفت بكافة المدن العراقية احتفظت هذه المدينة بمركزها التجاري المهم والدليل على ذلك اتساع هذه المدينة ووصول آثارها حتى وصل الى عقيق الدجيله في الوقت الحاضر وهذا يدل على مدى اتساعها عندما كانت قائمة آنذاك .

1 - الجوامع والمساجد : إنّ الحفائر الاثرية والتي اجريت بواسطة دلت على إنّ جامع الحجاج كان قد تهدم في سنة 400هـ/1009م وقد شيد على انقاضه وبقياه جامع جديد لا يختلف في تخطيطه عن الجامع الاول وبلاطه وما اثبتته التنقيبات من إنّ هذا الجامع أيضاً تهدم سنة 550 هـ/1155م وبني على انقاضه جامع ايضاً بالمواصفات نفسها الجامع الاول والثاني وبموقع قريب من الاول، وهذا يثبت أنّ جامع الحجاج وقصر القبة الخضراء التي كانت ترى من فم صالح على فوق هذا الجامع ثلاث مساجد جامعة اخرى ولم يبق من الأول والقصر غير بقايا الأسس والسورى وأجزاء صغيرة من الجدران (34).

وقد ازدادت الجوامع في هذا العصر فقد بنى عدة جوامع منها جامع موسى بن بغا والذي يقع على الجانب الشرقي من المدينة وجامع ابن رقاقا والذي يقع في الجانب الشرقي ايضاً فضلاً عن جامع المصلى والذي يقع في الجانب الغربي من مدينة واسط وقد ازداد عدد المساجد والجوامع في هذا العصر لزيادة عدد السكان من جهة واتساع المدينة من جهة أخرى ومنها مسجد بدر بن عبد الله ومسجد ابن ابي صالح ومسجد ابن السقاء ورحمة واسلم بن سهل الرزاز الواسطي ومسجد زنبور وقصبة ودرب الواسطيين وبن شبح (35).

2 - دار الامارة : بقيت دار الامارة في العصر العباسي على حالها بالرغم من عدم وجود دليل على سكنها إلا أنّها بقيت موجوده (36).

3 - السور تشير المصادر الى وجود السور في العصر العباسي ولما ذكرنا سابقا فإِنَّ الهدف الرئيس من بناء واسط هو هدف عسكري ومن المحتمل ان يكون السور قد تعرض للخراب والتهدم مرات عدة ويرجع سبب ذلك للتوسع العمراني أو من جراء المشاركة الفعالة لهذه المدينة في معظم الاحداث السياسية الهامة والتي شهدها العراق في تلك الحقبة مما أدى الى ترميمه وتجديده أكثر من مرة⁽³⁷⁾. وقد خلا الجانب الشرقي من وجود السور .

4 - المحلات : تتوسع المحلات السكنية نتيجة مع توسع المدينة عموماً فتوسعت المحلات الموجودة أصلاً وظهرت محلات جديدة فكانت التقسيمات كما يلي :-
أ - محلات الجانب الغربي ومنها محلة باب الزاب ومحلة الوراقين والرزازين والخرايعين ومحلة بندالين ومحلة الكتبيين ومحلة القراطيسيين والتي تقع على الجانب الغربي قريباً من محلة الوراقين

ب - محلات الجانب الشرقي ومنها محلة برجونية والحزاميين وحوز برقه وال تي تقع مقابل المدينة الغربية ومتصله بمحلة الحزاميين ومحلة سويقه ابن عيينه ومحلة دوينانا ومحلة بابسير فضلاً عن محلات اخرى مثل الطحانيين والبرجلانية الزيدية وقصر الرصاص والأنباريين والحادره⁽³⁸⁾.

5 - الشوارع بقى تخطيط الشوارع كما كان في العصر الأُموي وخصوصاً الأربعة الرئيسة منها والتي تفرعت من دار الإمارة ويعرض كل واحد منها 40متر والتي تؤدي الى أبواب المدينة وبقيت محتفظة بأسمائها مثل شارع الخرازين والذي يتدئ بالقرب من المسجد الجامع ودار الامارة ويمتد جنوباً الى الغرب من الأسواق لينعطف شرقاً جنوب الأسواق الى ان يق ترب من نهر دجلة ، فضلاً عن درب الحوض والخطيب بمحلة الطحانيين ودرب الصاغة والذي يقع بمحله الصاغة و منتاب الاعلى و الواسطيين

ودرب البصريين، وأغلب تلك الشوارع والدروب كانت تربط ما بين دار الإمارة والمسجد من جهة المحلات والأسواق من جهة أخرى⁽³⁹⁾

6 - الأسواق :توضح كتب التاريخ أنّ العرب عموماً والمسلمين خصوصاً اهتموا بشكل واضح في تخطيط الأَسواق وجعلها امتداد لدار الإمارة والمسجد، ومدينة واسط كان لها طابع ميزها عن غيرها في تخطيط الأسواق فقد جعل الحجاج الأسواق تخصصية فقد تجمع أ

7 - أصحاب كل حرفة أو مهنة في سوق واحده، فكانت أسواق أصحاب الطعام والبزازين والصيارفه والعطارين تقع عن يمين السوق وتمتد الى درب الخرازين واسواق البقالين وأصحاب السقط، ومحلات الفاكهة تقع في قبلة السوق وتمتد الى درب الخرازين، وعن يسار السوق نهر دجلة وللجزارين سوق خاصة بهم. اما أسواق الجانب الشرقي فكان سوق الخشب وسوق أبي عيينة من أهم الأسواق⁽⁴⁰⁾.

8 المدارس : تطورت الحياة الفكرية في هذه الفترة فكانت واسط احدى أهم المراكز الثقافية المهمة بالعالم الإسلامي وشهدت نشاطاً علمياً واسعاً، ومن هنا ظهرت في هذا العصر العديد من المؤسسات التعليمية ، فأول مدرسة انشئت بهذا العصر هي مدرسة القاضي أبو علي الحسن بن إبراهيم بن علي الفاروقي سنة 528هـ، وبعدها ظهرت عدة مدارس مثل مدرسة ابن القارئ والواسطي ومدرسة خطلدريس والتي تقع في الجانب الشرقي من المدينة من الجهة العليا وعلى مقربة من دجلة⁽⁴¹⁾ ومدرسة الفقيه أبي الغزنوي وموقعها في محله الوراقين في الجانب الغربي فضلاً عن مدارس اخرى مثل مدرسة محمد بن ورام والشرايبية والتي تقع على الجانب الشرقي من مدينة واسط على ضفاف دجله⁽⁴²⁾.

ساهمت تلك المدارس بصورة فعالة في رفع المكانة العلمية لتلك المدينة فقصدتها وتخرج منها عدد من العلماء والمفكرين وا لفقهاء والادباء ووجود هؤلاء المفكرين أدى الى

ظهور البيوت العلمية مثل البيت السوادي والبيت الأزدي والذي سمي بيت ((الرواية والحديث)) والغزني والمندائي الواسطي والآمدي وبيت العدالة والرواية والذي اشتهر بقراءة القرآن والتصوف والحديث⁽⁴³⁾ والتي يجتمع بها الوجهاء والعلماء من المفكرين للتشاور وتبادل المعلومات والخبرة

9 - الربط:** نتيجة لتطور وازدهار الحياة الاقتصادية وارتفاع المستوى المعاشي أدى الى ازدهار حركة السوق والتجارة فقد أنشأ في مدينة واسط عدد من الربط ومنها رباط ابن القارئ ورباط الانصاري ورباط قراجة والذي يقع على دجلة وابن الاغلاقي والمعروف بالآمدي ورباط النوى والقريتي ، وهناك رباطين على الجانب الشرقي من واسط احدهما قرب جامع ابن الرقاقا إمّا الاخر على دجلة قريباً من المدرسة الشرايية⁽⁴⁴⁾.

وفي القرن العاشر للهجرة وعندما أخذ نهر دجله بتغيير مجراه مبتعداً عن المجرى الشرقي الحالي، انظر خارطة (2)، الذي يمر بمدينة العمارة يبدو أنّ نجم واسط أخذ يأفل، ولكنها تبقى محط انظار الدارسين والمهتمين بالحضارة والعمارة الإسلامية العربية بقيت وكما وصفها المقدسي ((واسط قصبة عظيمة ذات جانبيين وجامعين وجسر بينهما، كثيرة الخير وم عدن السمك. جامع الحجاج وقبته في الغربي طرف الاسواق بعيد عن الشط عامرة بالقرآن، اختطها الحجاج وسميت واسط لانها بين قصبات العراق والاهواز))⁽⁴⁵⁾.

خارطة (2) موقع مدينة واسط الإسلامية ومجرى نهر دجلة القديم والحالي



الهوامش

- 1 - محمد مدحت جابر، جغرافية ا لعمران الريفي والحضري، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الثانية، 2006، ص297.
- 2 - ابن الأزرق، الامام أبي عبد الله ابن الأزرق الما لقي المالكي بدائع السلك في طبائ الملك: تحقيق و تعليق علي شامي النشار، سلسلة كتب التراث (53)، الجزء الثاني، منشورات وزارة الثقافة والفنون ،العراق، 1978، ص273.
- 3 - المقدسي ،شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، ط 3، مكتبة مدبولي ،القاهرة ،1991، ص446.
- 4 - كوركيس عواد ،تاريخ واسط، مطبعة المعارف ،بغداد، 1967، ص43.
- 5 - اسلم بن سهل الرزاز الواسطي المعروف ببحتشل ،تحقيق كوركيس عواد ،تاريخ واسط ،مطبعة المعارف ،1967، ص23.
- 6 - فؤاد سفر ،واسط الموسم السادس للتنقيب ،مديرية الآثار القديمة العامة، مطبعة
- 7 - المعهد الفرنسي للآثار الشرقية ،القاهرة 1953، ص14.
- 8 - عبد القادر سلمان المعاضيدي ،واسط في العصر الأموي ،دار الحرية للطباعة، 1976، ص73-74.
- * شيراز تتميز بكونها مدينة تجارية ومركزاً لكثير من الطرق الشمالية والشمالية الشرقي والجنوب والجنوب الشرقي .
- 9 - ببحتشل، تحقيق كوركيس عواد ،تاريخ واسط ،مطبعة المعارف ،بغداد ، 1967، ص24.
- 10 - محمد القادر سلمان المعاضيدي ،المصدر السابق ،ص 106.
- 11 - للمقدسي ،المصدر السابق ،ص 124.
- 12 - صالح احمد العلي، منطقة واسط ،مجلة سومر ،العدد 1971، 26، ص65-67.
- 13 - حاجي معروف ،تخطيط المدن عند العرب ،مجلة سومر ،مج 26 ،ع 13، ص97.
- 14 - للمقدسي ، المصدر السابق، 501
- 15 - للمعاضيدي ، المصدر السابق ،ص 112.
- 16 - المصدر نفسه ،ص 113.
- 17 - هاشم عبادة مطر ، تاريخ الدويلات العربية الاسلامية في العصر العباسي في المشرق والمغرب ،بغداد ،مطبعة الحديثي ، 1979، ص 43 .
- 18 - محمود شوقي الحمداني ، نحات من تطور الري في العراق قديماً وحديثاً ،بغداد ، 1984، ص 18-19.
- 19 - مديرية الآثار العامة ،الاضبارة رقم 18/3، بعثة التنقيبات لمدينة واسط ،ص 118.
- 20 - فؤاد سفر ،المصدر السابق ،ص 23.
- 21 - للمعاضيدي ،المصدر السابق ،ص 117-125.

- 22 -نظر،المعاضدي ، المصدر السابق ص 111-115-فؤاد سفر،مصدر سابق،ص25-27.
- 23 -حزيف يوسف، تاريخ فن العمارة العراقية في مختلف العصور،دار الرشيد،1982،ص311 .
- 24 -المصدر نفسه،312.
- 25 -مصطفى عباس الموسوي،العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الإسلامية،1982،بغداد،ص148.
- 26 -المقدسي ،إحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ،الطبعة الثانية،لندن ،1906،ص118.
- 27 -أحمد جمال الدين ،معجم جغرافية واسط ،مجلة سومر ،مج 13،الجزء (2)،1957،ص121.
- 28 -محمد الحسن مدفون ،ابو رحيل ،علاقة المناخ بتخطيط المناطق العمرانية في العراق ، البحوث الجغرافية ،العدد الثالث، 2002، ص145.
- 29 -المعاضدي ، المصدر السابق ،ص138.
- * * الانماط يفرش على الارض دون الدوس مثل الحصران الحالية .
- (29) ياسين محمود ،الصناعة والتجارة في واسط ،مجلة الاستاذ ،1969،5،ص297.
- (30) المصدر نفسه ، ص300.
- (31) المعاضدي ، خطط مدينة واسط في العصر العباسي ،مجلة سومر ،العدد 2،1978،ص45-47.
- (32) مصطفى عباس الموسوي،العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الإسلامية،1982،بغداد،ص148.
- (33) المعاضدي ، عبد القادر سلمان ،واسط في العصر العباسي ،دائرة الشؤون الثقافية والنشر ،سلسلة دراسات وزارة الثقافة والاعلام(343)،دار الحرية للطباعة ،1983،ص153 .
- (34) بشير فرنسيس ،المظاهر الفنية في عواصم العراق الاسلامية القديمة ،مجلة سومر ،مج ،الجزء الاول ،1948،ص107
- (35) عيسى سلمان،العمارات العربية الاسلامية في العراق،دار الرشيد،1982،ص19.
- (36) المصدر نفسه ،ص124-125.
- (37) المعاضدي ، المصدر السابق ،ص117-118.
- (38) خالص حسني الأشعب،المدينة العربية والوظائف البنوية والتخطيط،مطبعة،الفلح،الكويت،1984،ص42.
- (39) عبد القادر المعاضدي،خطط مدينة واسط في العصر العباسي،مجلة سومر،مج13،1978،ص181-185.
- (40) اوسكار رويتر،البيت العراقي في بغداد ومدن عراقية اخرى،ترجمة محمود كبيبو ،دار،الوراق لندن،2006م، ص58.
- (41) مؤيد سعيد ،مركز التوثيق لآثار بلاد الرافدين ولغاتها مجلد 1977،33،ص203.
- (42) عيسى سلمان،مصدر سابق ،ص21.
- ***الربط :هو مكان لبيع وشراء وتربية الحيوانات المواشي من الاحصنه و البغال والحمر والجمال والماعز والانعام والطيور على مختلف انواعها

- 43) محمد حسام سعد، المدارس العربية الاسلامية في العراق لغاية العهد العثماني، رسالة ماجستير، كلية التربية الاساسية، قسم التاريخ، 2005، ص 89-90.
- 44) عبد العزيز الدوري، نشوء الاصناف والحرف في الاسلام، مجلة كلية الآداب، جامعه بغداد، العدد 1، لسنة 1959، ص.7.
- 45) احمد جمال الدين، مصدر سابق، ص 122 .

المصادر

- 1- ابن الازرق، الامام أبي عبد الله ابن الازرق المالقس المالكي، بدائع السلك في طبائع الملك: تحقيق وتعليق علي شامي النشار، سلسلة كتب التراث (52)، الجزء الثاني، منشورات وزارة الثقافة والفنون، العراق، 1978.
- 2- أحمد جمال الدين، معجم جغرافية واسط، مجلة سومر، مج 13، الجزء (1،2)، 1957.
- 3- اسلم بن سهل الرزاز الواسطي المعروف ببحتل، تحقيق كوركيس عواد، تاريخ واسط، مطبعة المعارف، 1967.
- 4- اوسكار رويتر، البيت العراقي في بغداد ومدن عراقية اخرى، ترجمة محمود كبيبو، دار الوراق لندن، 2006.
- 5- ببحتل، تحقيق كوركيس عواد، تاريخ واسط، مطبعة المعارف، بغداد، 1967.
- 6- بشير فرنسيس، المظاهر الفنية في عواصم العراق الاسلامية القديمة، مجلة سومر، مج الرابع، الجزء الاول، 1948.
- 7- خالص حسني الأشعب، المدينة العربية والوظائف البنوية والتخطيط، مطبعة الفليح، الكويت، 1984.
- 8- شريف يوسف، تاريخ فن العمارة العراقية في مختلف العصور، دار الرشيد، 1982.
- 9- صالح احمد العلي، منطقة واسط، مجلة سومر، العدد 1971، 26.
- 10- عبدالحسن مدفون، ابو رحيل، علاقة المناخ بتخ طيط المناطق العمرانية في العراق، البحوث الجغرافية، العدد الثالث، 2002.
- 11- عبدالعزيز الدوري، ابو رحيل، علاقة المناخ بتخ طيط المناطق العمرانية في العراق، البحوث الجغرافية، العدد (1)، 1959.
- 12- عبدالقادر المعاضيدي، خطط مدينة واسط في العصر العباسي، مجلة سومر، مجلد (1)، العدد 1978، 34.
- 13- عبدالقادر المعاضيدي، واسط في العصر الأموي، دار الحرية للطباعة، 1976.
- 14- عيسى سلمان، العمارات العربية الاسلامية في العراق، دار الرشيد، 1982.
- 15- فؤاد سفر، واسط الموسم السادس للتنقيب، مديرية الآثار القديمة العامة، مطبعة المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، 1953.
- 16- كوركيس عواد، تاريخ واسط، مطبعة المعارف، بغداد، 1967.
- 17- محمد حسام سعد، المدارس الاسلامية العربية في العراق لغاية العهد العثماني، رسالة ماجستير، كلية التربية الاسلامية، قسم التاريخ، 2005.
- 18- محمد مدحت جابر، جغرافية العمران الريفي والحضري، مكتبة الانجلو المصري، الطبعة الثانية، 2006.

- 19- محمود شوقي الحمداني ،لخات من تطور الري في العراق قديما وحديثا ،بغداد، 1984 .
- 20- مديرية الاثار العامة ،الاضبارة رقم 18\3 ،بعثة التنقيبات لمدينة واسط .
- 21- مصطفى عباس الموسوي ،العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الاسلامية،، 1982 ،بغداد .
- 22- المعاضيدي ، خطط مدينة واسط في العصر العباسي ،مجلة سومر ،العدد 2 ، 1978.
- 23- المعاضيدي ،عبدالقادر سلمان ،واسط في العصر العباسي ،دائرة الشؤون الثقافية والنشر ،سلسلة دراسات وزارة الثقافة والاعلام (343)، دار الحرية للطباعة ، 1983.
- 24- المقدسي ، محمد بن احمد المقدسي ،احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ،الطبعة الثانية ،لندن ، 1906.
- 25- المقدسي،شمس الدين ابوعبد الله محمد بن احمد ا حسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، ط 3، مكتبة مدبولي ،القاهرة، 1991م.
- 26- مؤيد سعيد ،مركز التوثيق لآثار بلاد الرافدين ولغاتهما مجلد 1977.
- 27- ناجي معروف ،تخطيط المدن عند العرب ،مجلة سومر ،مج 26 ،ع 13 .
- 28- هاشم عبادة مطر ،تاريخ الدويلات العربية الاسلامية في العصر العباسي في المشرق والمغرب ،بغداد ،مطبعة الحديثي ، 1997.
- 29- ياسين محمود ،الصناعة والتجارة في واسط ،مجلة الاستاذ ، 1996 ، العددالخامس .

**Light on Wasit City in Al-Ammawi and Al-Abbasi Eras
A Study in Morphology of the City**

Nada Jawad Mohammed Ali / Assistant Teacher
College Of science/ Remote Sensing

(Abstract Research)

This research submitted to be a clear form for a city has famous civilization extended many centuries , made its obvious stamps & prominent for eyesight through what left us of edifices stated witnesses of Islamic cities , that are distinguished from others by its model , engineering of buildings that are taken special characteristics display thought creativity features & Islamic Arabian art , and this research clarifies from thought & design of Al-Hajjaj in building Wasit City that appeared as a result from the political conditions that Iraq faced them in general , and Al-Hajjaj in particular , the increasing of revolutions from different governorates , increasing numbers of enemies against Al-Hajjaj led to make him think to build city be protected , near to other cities , but it is in the same time away from revolutions , so he chose a city with suitable location as health , economic , political & military fields , and it was called Wasit , because it was in the middle between Kufa , Basrah & Baghdad , to be crossing conquests towards east , and borders of Wasit governorate was drawn in the west side of Tigris river

So planning of the city , its architectural developing resulted from civilization ,highbred originality which developed & prospered to unify with the east side to make one city

At the beginning of planning the city was supported with siege , pitch , mosque , state house , in addition to markets , shops , schools , ways , which indicated to develop of thought life for this city , in the tenth century of Hijra , when Tigris river started to change its stream became away from current east stream that passes through Al-Emara governorate seemingly that fame of Wasit governorate started to be vanished , to be remained as city of tourists who are taking care of Islamic architecture